مافيا الأسد وألف باء الوفاء للطغاء 11 تصنيع الإرهابيين الجهاديين



إعداد فينيق ترجمة



قبل البدء بنشر المعلومات المنقولة من مصادرها الواضحة حول هذا الموضوع، يجب التذكير بتصريحات المُجرم نوري المالكي رئيس حكومة العراق السابق ومندوب الاحتلال الإيراني حتى الآن في العراق في العام 2010 عن ضرورة محاسبة "النظام السوري" لإرساله إرهابيين وقيامهم بتفجيرات في العراق! فيما باشر المالكي ذاته ومنذ العام 2013 (أو ربما من العام 2011) بالقيام بذات الدور في تصنيع الجهاديين الإرهابيين؛ وتوّج جهوده الإجرامية بتسهيل انتشار وسيطرة "داعش" على قسم كبير من العراق والدخول إلى سورية!

القصّة طويلة ومعقدة ومتشابكة وعسى أن تساهم المعلومات القادمة بتقديم حدّ أدنى من التوضيح. أما عن وجود دور لأجهزة استخبارات أجنبية وعربية خليجية بتصنيع جماعات جهادية فهذا موثق ومعروف من أيام الاحتلال السوفييتي لأفغانستان ولا حاجة لنا به في هذا الموضوع.

فورين أفيرز: دور وتاريخ النظام السوري في صناعة الجهاديين الراديكاليين

تعتبر سورية الآن، الموطن الأكبر والأكثر قدرة على تسليح المقاتلين الجهاديين في أي مكان في العالم، وسيستمر هذا لسنوات طويلة، وأي تقدم تحققه قوات التحالف الغربي الذي تقوده الولايات المتحدة ضد ما يسمى بتنظيم الدولة الإسلامية (المعروف أيضا باسم ISIS) في الأشهر المقبلة، لن يعيد الاستقرار في سورية لسنوات قادمة، بعد الفوضى والدمار الهائل الناجم عن خمس سنوات من الصراع، وهذا لن يستفيد منه إلا الجهاديين.

ففي أذار 2011، خرج الرجال والنساء والأطفال السوريين إلى الشوارع، يداً بيد، مرددين شعارات عن الحاجة للإصلاح السياسي والتحرر من القمع، وكان في استقبالهم النظام السوري بالغاز المسيل للدموع والرصاص المطاطي ونيران أسلحته ورشاشاته، وأدى القمع العنيف والعشوائي من قبل قوات الأسد للمظاهرات السلمية، بالإضافة إلى أحداث مروعة مثل تعذيب الطفل البالغ من العمر (13 عاماً) حمزة الخطيب في درعا، إلى تحول الحركات الاحتجاجية إلى ثورة عمت البلاد.

وأدى تصعيد النظام السوري لاحقاً إلى ولادة الجيش السوري الحر، باعتباره القوة الحامية للمظاهرات المدنية، ولينتقم من النظام على جرائمه، فالعنف لا يولد إلا العنف، وبعد خمس سنوات من الحرب، قتل ما يقرب من نصف مليون سوري وشرد أكثر من نصف سكان سورية، سواء داخل البلاد (6.6 مليون) أو خارجها (4.6 مليون.)

مغازلة سوريا مع الجهاد

وعلى الرغم من أن اندلاع الاحتجاجات الشعبية، إلا أن عنف النظام، والحرب الأهلية هو ما خلق الظروف التي جعلت الجهادية تزدهر في البلاد، فلقد كانت سورية بالفعل أرضاً خصبة للتطرف، ولسنوات عديدة حتى قبل عام 2011، فقد حافظ نظام بشار الأسد على علاقة غزل مستمرة مع الجهاديين، وحاولت دمشق التلاعب بهم ليقوموا بدور الوكلاء لجدول أعمال السياسة الخارجية السورية.

وأفضل مثال عن حجم وطبيعة العلاقة -كان عند الغزو الذي قادته الولايات المتحدة على العراق واحتلاله من عام 2003 إلى عام 2010- فلم تكد القوات الأمريكية تضع خطواتها الأولى على الأراضي العراقية، قام المفتي المعين من قبل النظام السوري، الشيخ "أحمد كفتارو"، بإصدار (فتوى دينية) تجبر جميع المسلمين السوريين، ذكوراً وإناثاً، على مقاومة "قوات الاحتلال" بأي وسيلة، بما في ذلك التفجيرات.

وفي المقابل، وخلال الأسابيع الأولى للغزو العراقي، سهلت المخابرات العسكرية السورية نقل الآلاف من الشباب من المحافظات الشرقية من الحسكة ودير الزور، عبر المراكز الحدودية للعراق، وتشير بعض التقارير إلى أن ما يصل إلى 5.000 جهادي قد تم تجنيده في العراق في أول 11 يوم من الغزو، وانضم 1.000 فلسطيني من مخيم اليرموك، وتم نقلهم خارج دمشق للقتال في العراق بعد ذلك.

بعد ذلك بوقت قصير، اعتقلت القوات الجوية الخاصة البريطانية أربعة حافلات تقل حاملي جوازات سفر سورية بينما كانوا يعبرون من سوريا الى العراق.

وكانت الشخصية الرئيسية التي قامت بتعبئة الشبان السوريين للقيام بواجبهم الجهادي هو "أبو القعقاع " والذي تصادف وجوده مع جهاز المخابرات السورية، وفقاً لمسؤول في شرطة حلب، فقد تم إحضار القعقاع إلى

المبنى الإداري المحلي للمخابرات بعد وقت قصير من وصوله إلى المدينة في أواخر التسعينات، وكان الرجل الذي يلبس كالباكستانيين، بالكاد يتحدث كلمة واحدة، وتحدث الضباط نيابة عنه، وكانت الأوامر أن تجهز له بطاقة هوية سورية ورخصة قيادة وغيرها من الوثائق، ولكن من دون أي عنوان مسجل أو غيرها من المعلومات الشخصية، وهو أمر غير قانوني في سورية، وعرفنا على الفور أننا نتعامل مع شخص مهم، وبعد سنوات لاحقة.. أدركنا من ساعدنا حينها!

وبحلول عام 2003، أصبح للقعقاع مجموعة كبيرة من التابعين، حتى أصبح من الصعب على الدولة السورية مراقبتها سراً، وكانت بعض صلوات الجمعة والتجمعات المرتبطة بها، في كثير من الأحيان، تحمل العداء للحداثة الغربية والعلمانية، وفي بعض الأحيان ضد الشيعة والعلويين، وكان ذلك بطريقة أو بأخرى يتناقض مع حكم الأسد في سوريا.

وبالتالي جاء غزو العراق في الوقت المناسب تماماً، وتم تصدير أتباع الجهاد القعقاعي للقيام بمحاربة ما يسمى "قوات الاحتلال " و"الشيطان الاعظم" عبر الحدود الشرقية لسورية وإلى العراق.

وأصبحت سورية طريق العبور رقم واحد للجهاديين من جميع أنحاء العالم، من خلال رجال القاعدة مثل " بدران تركي هيشان المزيدي" (أبو غادية) وعلى مرأى ومسمع من المخابرات السورية، وسربت المئات من الجهاديين إلى العراق لمهاجمة الجنود الامريكيين.

ولذلك من دون مساعدة حكومة دمشق، لم يكن ليظهر ويزدهر تنظيم القاعدة في العراق، والذي أصبح تنظيم الدولة الإسلامية في العراق وسورية، ولا كان قتل العشرات بل مئات الجنود الأمريكيين حينها.

صناعة الأسد .. هكذا صنع الرئيس السوري بيديه تنظيم "داعش" المتشدد

هذا هو الفصل الأخير من التحقيقِ الرائد الذي أجراه المراسل الحائز على جائزة "بوليتزر" للصحافة روي غوتمان، الذي يوثّق مساهمات بشار الأسد في صنع تنظيم الدولة الإسلامية "داعش."

يوضح التقرير تواطؤ الديكتاتور السوري في الرعب الذي نشره التنظيم في سوريا، وذلك أثناء تخطيطه وإلهامه لإرهابيين آخرين لتنفيذ هجمات في أوروبا والولايات المتحدة. وهي حقائق يجب على الرئيس الأميركي المنتخب دونالد ترامب وضعها قيد الاعتبار عندما يتحدث بعفوية عن التعاون مع روسيا والأسد في الحرب ضد داعش. وفقاً لتقرير نشرته صحيفة "ديلي بيست."

وكما رأينا في الفصلين السابقين، حاول الأسد في البداية تملّق رؤساء الدول الغربية بتصوير الانتفاضة الشعبية ضده في 2011 باعتبارها ثورة يقودها الإرهابيون. وعندما فشل ذلك، أطلق الأسد سراح بعض المتطرفين الإسلاميين الذين حاربوا القوات الأميركية في العراق سابقاً من السجون، ثم نظّم هجمات وهمية على بعض المؤسسات الحكومية، واتهم الإرهابيين بتنفيذها.

وفي استراتيجيةٍ أبعد ما تكون عن مواجهة تنظيم الدولة الإسلامية "داعش"، تجاهل الأسد إقامة التنظيم لدولةٍ داخل دولته، متخذاً الرقة عاصمةً لها، وترك مهمة مواجهة المتطرفين الإرهابيين للولايات المتحدة والأطراف الأخرى.

نص التقرير

في ربيع عام 2012، عبرت مئات من عناصر الميليشيات الإسلامية الحدود من العراق إلى شرق سوريا تحت أعين الجهاز الأمني المشدّد لنظام الأسد. وعند وصولهم، تلقت أجهزة المخابرات السورية مجموعتين من التعليمات.

كانت إحدى هاتين المجموعتين تعليمات مكتوبة، وتضمّنت أسماء ومعلومات عن الجهاديين، مرفق معها تعليمات تأمر باعتقالهم وقتلهم.

لكن هذا لم يكن إلا تمويهاً. وبينما وزّع النظام مجموعةً من التعليمات يأمر فيها بقتل هؤلاء الجهاديين، أرسل النظام سراً مبعوثين رسميين برسالة مغايرة.

قال محمود النصر، وهو مسؤول سابق بالمخابرات شمال سوريا انشقّ في أكتوبر/تشرين الأول عام 2012، إنَّ هؤلاء المبعوثين "أتوا من مقر القيادة، وعقدوا اجتماعات خاصة بجهاز المخابرات، وأمرونا بالابتعاد عنهم وعدم لمسهم."

وقال النصر إنَّ الجهاديين قدموا إلى سوريا في مجموعاتٍ من 3 أشخاص، وأحياناً 5، ثم أصبحوا مئات. وأضاف قائلاً: "وصلوا إلى سوريا ثم بدأ كل منهم بإحضار أصدقائه". انضم أغلب هؤلاء الجهاديين إلى جبهة النصرة، وهي جماعة أعلنت انتماءها للقاعدة في أبريل/نيسان عام 2013، وانقسمت بعدها إلى مجموعتين، جبهة النصرة وتنظيم الدولة الإسلامية (داعش). بينما انضم بعض الجهاديين المتسللين إلى سوريا لتنظيم أحرار الشام، وهي جماعة إسلامية ثالثة أكثر اعتدالاً.

تسلّط هذه التعليمات المتناقضة الضوء على العلاقة الخفيّة بين نظام الأسد وتنظيم الدولة الإسلامية (داعش). إذ يزعم الأسد أن المعارضة السياسية المحلية ضده تتكون بأكملها من الإرهابيين العازمين على تدمير الدولة السورية، ويناشد بانتظام المجتمع الدولي طالباً المساعدة في حربه ضد الإرهاب. لكن النظام السوري في الحقيقة سهّل صعود وتوسّع الجماعة الإرهابية الحقيقية في سوريا: تنظيم الدولة الإسلامية (داعش.(

لكن هذا التحقيق الذي استمر عامين يكشف صرةً أكثر تعقيداً، إذ يبدو أن نظام الأسد قد نفَّذ عملياتٍ بالتعاون مع تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، بينما حاربه في مراتٍ أخرى، ما كبَّده خسائر فادحة.

وقال مسعود بارزاني، رئيس حكومة إقليم كردستان العراق، في مقابلةٍ حديثة مع صحيفة "ديلي بيست" الأميركية إنَّه "أحياناً هم حلفاء، وفي أوقاتٍ أخرى هم أعداء. أحياناً يتعاونون معاً، وأحياناً يقاتلون بعضهم البعض. إذاً ما هو النمط المتّبع؟ الله وحده يعلم."

علاقة طويلة المدى

ما أصبح واضحاً هو أن علاقةً طويلة المدى تربط بين نظام الأسد والدولة الإسلامية، يعود تاريخها لحرب العراق، عندما ساعدت سوريا آلاف المتطوعين على دخول العراق عبر حدودها لمحاربة الاحتلال الأميركي. سجن النظام السوري أكثر من 1000 جهاديّ عقب عودتهم من العراق، لتطلق سراحهم مرة أخرى عام 2011 أثناء قيام السوريين بثورة ضد النظام، كثير من هؤلاء أصبحوا اليوم قادة في تنظيم الدولة الإسلامية (داعش.(

كانت الخطة العامة هي تسهيل تحركات الجهاديين، مع الحفاظ على قدرٍ كافٍ من الاشتباكات تسمح للنظام بادعاء محاربته لهم.

وعقب وصولهم عام 2012، أدار النظام وجهه عن استيلاء المتطرفين على قواعد حكومية. كما سمح لقوافل الجهاديين بالعبور ذهاباً وإياباً بين سوريا والعراق، ولم يحرّك ساكناً لمنع التنظيم من إرسال أسلحة إلى العراق، وهو ما ساعد التنظيم بالعراق في الاستيلاء على الموصل في يونيو/حزيران عام 2014.

والآن، يقصف النظام السوري قرى خاضعة لحكم التنظيم ببراميل متفجّرة، لكنها تستهدف المدنيين عادةً. بينما يسود الهدوء على خط الجبهة بين الطرفين.

وقالت كارين فون هيبل، وهي مسؤولة سابقة بوزارة الخارجية الأميركية كانت تعمل على القضية السورية لست سنوات حتى نوفمبر/تشرين الثاني عام 2015، إنَّه "عموماً، كان النظام السوري يتجاهل تنظيم الدولة الإسلامية (داعش).

وأضافت: "ستجد صعوبةً في إيجاد حوادث لهجوم النظام على التنظيم، والهجمات المتفرقة التي نفّذها النظام استهدفت المدنيين أكثر من مقاتلي التنظيم."

وكانت فان هيبل، التي تدير الآن المعهد الملكي للخدمات المتحدة، وهو مركز أبحاث يقع بمدينة لندن، تستخدم اسماً بديلاً لتنظيم الدولة الإسلامية، إذ كانت تسميه تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (ISIL) بدلاً من الاسم الشائع الدولة الإسلامية في العراق وسوريا.(ISIS)

وذهب وزير الخارجية الأميركي جون كيري لمدى أبعد، عندما قال في نوفمبر/تشرين الثاني 2015 إنَّ الرئيس السوري بشار الأسد، الذي أطلق سراح 1500 سجين من الجهاديين، هو من أوجد تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، ومعه رئيس الوزراء العراقي السابق نور المالكي، الذي أطلق سراح 1000 آخرين.

وقال كيري عقب هجمات باريس الإرهابية إنَّ الأسد أراد بهذا أن يقول "إما أنا أو الإرهابيين."

وفي مارس/آذار، وجّه النظام السوري اهتمامه تجاه تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، وتمكن بمساعدة القصف الجوي الروسي الذي استمر أسابيع، والمساعدة الوفيرة التي قدمتها ميليشيات حزب الله اللبنانية، من استعادة السيطرة على مدينة تدمر.

ومع ذلك، هناك العديد من الأمثلة على حوادثٍ سهّل فيها النظام استيلاء المتطرفين على مناطق خاضعة لسيطرة قوات الثوار. ولعب مسؤولون بحكومة العراق، التي يسيطر تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) وحلفاؤه السنيون على ما يقترب من ثلث مساحتها، دوراً أساسياً لصالح الأسد في صعود التنظيم بسوريا.

قال سعيد الجياشي، الذي كان آنذاك عضواً في جهاز الأمن الوطني العراقي، إنَّ الأسد "ساعد في إنشاء الطريق الذي استخدمه الإرهابيون من كل أنحاء العالم للقدوم عبر سوريا لمحاربة الأميركيين في العراق". وكان الجياشي يشير إلى فترةٍ ترجع لعشرة أعوام، توافد فيها متطوعون جهاديون أجانب على العراق لقتال القوات الأميركية. وأضاف قائلاً "لاحقاً استُخدمت نفس الطرق لجلب الإرهابيين إلى سوريا."

وأكد: "أومن شخصياً بأن هناك مستوى من التنسيق بين الطرفين"، ومع ذلك اعترف بأنه لا يعرف كيف نُفذ ذلك المخطط.

الخطوة الأولى في الصعود

كانت الخطوة الأولى في صعود تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) في أكتوبر/تشرين الأول عام 2011، عندما أرسل أبوبكر البغدادي، الذي كان قائد تنظيم القاعدة في العراق آنذاك، محمد الجولاني، أحد قادة الميليشيات، إلى سوريا لتشكيل جبهة النصرة، فرع تنظيم القاعدة في سوريا.

ثم في ربيع عام 2012، بدأ وصول الجهاديين إلى سوريا، وقال نبيل دينال، وهو سوري من شرق سوريا انشق عن الحكومة في يونيو/حزيران عام 2012، إنَّ النظام "علم بوصول الجهاديين، وعلم بتواجدهم في المناطق الريفية، وأنهم يتحركون عبر القرى، لكنه لم يستهدفهم."

وقال النصر، مسؤول المخابرات السابق من شمال شرق سوريا، إنَّه "في بعض الحالات، كنّا نقدّم اسماً لأحد رؤسائنا في القيادة، ونقول إنَّ هذا الشخص موجود داخل مناطقنا. لكنني لم أكن أتلقى أية أوامر من القيادة لمراقبته. ولم يكن النظام يوفر أية معلومات أكثر عن هذا الشخص."

تعرّف زعماء القبائل في المناطق الحدودية على المقاتلين العائدين إلى سوريا، بحسب سلمان شيخ، المدير السابق لمركز أبحاث بروكينغز في قطر، الذي اجتمع مع شخصيات سورية بارزة بانتظام لرسم صورة واضحة لمستقبل البلاد. وقال: "كانوا قد رأوا هؤلاء الأشخاص يعبرون خارج الحدود بين عامي 2003 و2005، والآن رأوهم بأم أعينهم مرة أخرى، ورأوا أنهم لم يعودوا فحسب، بل قوبلت عودتهم بشيءٍ من الترحاب. ولم يتصدى لهم أحدٌ من الحكومة."

وفي أواخر عام 2012، عندما صنّفت الولايات المتحدة جبهة النصرة كمنظمة إرهابية، كانت قد تحوّلت إلى قوة مقاتلة فعّالة ضد النظام.

وأعلن البغدادي تشكيل تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) في أبريل/نيسان عام 2013، لكن الجولاني، الذي تمتع بدعمٍ شعبي محلي نتيجة معارضته للنظام، رفض وقف نشاط جبهة النصرة. ووُلدت عداوة مريرة بين الجماعتين.

وبعد وقتٍ قليل، بدأ البغدادي بإحكام سلطته على شرق وشمال سوريا. وفي مايو/أيار من نفس العام، استولى على الرقة من سيطرة قوات جبهة النصرة، وبدأ بالاستيلاء على مدن شمال سوريا من الثوار المعتدلين المدعومين من قبل أميركا. توسّع تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) سريعاً بفتح أبوابه أمام المتطوعين من الجماعات الإسلامية أقل تطرفاً، والمتطوعين من خارج البلاد، وذلك لتعزيز أعداد قواته.

دولة داخل الدولة

مر التنظيم بمواجهات قليلة، إن وُجدَت، مع الجيش السوري، الذي استمر بإدارة قاعدة عسكرية كبرى خارج الرقة. حتى بعد أن رفع التنظيم أعلاماً سوداء ضخمة على مقار حكومية سورية، وجعل الرقة عاصمة لدولته الإسلامية المزعومة، وأعلن سيادته على المنطقة، لم تستهدف طائرة سورية واحدة أياً من تلك المواقع.

ومن داخل مقره في الرقة، أدار تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) نفسه كدولة داخل دولة. قدّمت لمواطنيها أكثر نسخ القانون تطرفاً، ونفّذت مجموعة من الإعدامات العلنية، واضطهدت السكان المسيحيين حتى فرّوا منها. وفي تطوّرٍ مشؤوم أرسل التنظيم أسلحة ومقاتلين ومؤونة لقواته في مناطق أخرى في سوريا، ومن وإلى العراق، بينما وقف الجيش السوري مراقباً فحسب لما يجري.

وبينما استمر التنظيم في إحكام سيطرته على شمال سوريا، أعلن شنّ هجوم عسكري ضد الثوار المدعومين من قبل الغرب، الذي سماه باسم عملية "نفي الخبث". واستولى التنظيم على المعبر الحدودي الرئيسي الذي اعتمد عليه الثوار للحصول على إمدادات الغرب والخليج من الأسلحة والمعدات، وهاجم قواعد ونقاط تفتيش الثوار، واختطف مراسلين سوريين وأجانب ليطلق سراحهم مقابل فدية. واغتال التنظيم أيضاً بعض القيادات بقوات الثوار، واختطف آخرين، ثم قدّمهم للمحاكمة وأعدمهم علنياً.

استسلام وانسحاب الجيش السوري

عندما انضم أبو خليل، حارس الأمن السابق بجامعة حلب، والذي كان يبلغ حينها من العمر 26 عاماً، إلى تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) في أواخر ربيع 2013، كان يأمل أن تكون أسلحة التنظيم، وأمواله، وقوته العددية قد جعلته خصماً أقوى لحكومة الرئيس بشار الأسد من أحرار الشام، وهي الجماعة الإسلامية السورية التي كان ينتمي إليها سابقًا.

قضى أبو خليل شهراً واحداً من التدريب الأساسي بالتنظيم، وكان يرتدي حزاماً ناسفاً محمّلاً بمادة "تي إن تي" المتفجرة عندما شارك في معارك الاستيلاء على قواعد الحكومة السورية العسكرية. لكنه رفض مبايعة الأمير المحلي للتنظيم وأبو بكر البغدادي، وتقديم ولائه الأبدي لهما.

وأضاف أبو خليل، المقاتل السابق في سوريا، والذي طلب أن يُعرَّف بلقب "أبو خليل" بغرض الحماية، "بقيت معهم لمدة 6 أشهر، لكني لم أفهم شيئاً عنهم. لم أفهم أهدافهم ومطالبهم السياسية. وبالنسبة للبغدادي، لم أكن أعرفه، إذاً كيف أبايعه؟."

حيّرت أبو خليل، الذي أجريت معه المقابلة في ديسمبر/كانون الأول عام 2014 في شقة صديق بمدينة الريحانية جنوبي تركيا، السهولة التي استولت بها تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) على القواعد العسكرية. قال: "أحياناً كنت أشعر بأن الجيش السوري كان يستسلم وينسحب بلا قتال. هل كانوا خائفين من القاعدة لأن مقاتلي

القاعدة يرتدون أحزمة ناسفة؟ أم كان هناك تعاون بينها وبين النظام؟ لم أجد إجابة لسؤالي. ويظل هو السؤال الأهم حتى الآن."

كان ثلثا مقاتلي تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) أجنبيين، طبقاً لكلام أبي خليل، الذي قال إنَّه كان تحت قيادة أمير تونسي مع مقاتلين من الشيشان، وإسبانيا، وألمانيا، وتركيا، والأردن، والعراق، والخليج، وشمال إفريقيا. وكانت التعليمات في المعسكر الذي تدرّب فيه تُلقَى باللغة الإنكليزية، لكنها كانت تُترجّم إلى اللغة العربية.

وقال إنَّهم "كانوا إذا رأوا شخصاً يدخّن سيجارة أو لحيته قصيرة، يقولون إنَّه كافر ويهدّدونه بقطع رأسه". ووصف أمير التنظيم جبهة النصرة، وهي الجماعة التي كانوا قد انفصلوا عنها مؤخراً، بالمرتدين، ومنع الاتصال بعناصرها.

في سبيل جذب المقاتلين الأجانب، كان تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) يقدم فوائد مادية للمنضمين، منها مرتّب شهري، والأهم، زوجة. وقال أبو خليل: "يأتي المقاتلون ويتزوجون مباشرة. ثم يشترون سيارات يحصلون عليها بأسعار زهيدة."

وقال إن التنظيم كان يدفع مهر الزوجة السورية للمقاتل، والذي يكون عادةً بحدود **1000** دولار، لكنه يعطيهم أكثر من ذلك، بمقدار يصل إلى **4000** دولار، وقال إنَّ القيادة كانت تقدّم لهم الدعم والأموال، لكنها كانت تستثني مقاتليها السوريين من هذا الرخاء، وهو أحد أسباب انفصال الكثير من السوريين عن تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، وكان بينهم أبو خليل، الذي ترك التنظيم في سبتمبر/أيلول عام **2013**.

كان أحد أكبر ألغاز ذلك الوقت هو كيف تخلَّص التنظيم في الأسلحة التي كان يستولي عليها. قال أبو خليل عن ذلك "عندما كنا نحصل على غنائم من القواعد العسكرية، لم نكن نراها بعدها أبداً". ولاحقاً علم أبو خليل أن معظم الأسلحة التي استولى عليها التنظيم أُرسِلت إلى العراق.

مدينة الباب

إحدى الأمثلة المبكِّرة على دعم نظام الأسد لتوسُّع تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) من خلال القوة العسكرية كان في مدينة الباب، التي تقع شمال حلب، واستولى عليها التنظيم في سبتمبر/أيلول عام **2013**.

قال عصام آل نايف، والذي كان حينها يقاتل ضمن صفوف كتائب لواء التوحيد التابع للجيش السوري الحر، ويعيش الآن في مدينة نيزيب جنوب تركيا، عن سقوط المدينة في يد التنظيم "كان لدينا **500** مقاتل بالمنطقة، واحتجنا إلى الدعم في مدينة الباب."

أرسل بعدها الثوار تعزيزاتٍ من مدينة منبج القريبة، وأرسل تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) أيضاً قافلةً من منطقة كويرس، والقريبة من إحدى القواعد الحكومية في الغرب. وأضاف عصام: "تمكننا من اعتراض مكالمةٍ لاسلكية تأمر القوات الجوية بقصف القافلة القادمة من منبج."

قُتِلَ في هذا القصف **25** مقاتلاً من قوات الثوار. لكن قافلة التنظيم استمرت نحو المدينة بلا أية مقاومة، وهجر الثوار حينها مدينة الباب. (تمكنت القوات الكردية السورية، مدعومةً من قبل الهجمات الجوية الأميركية، وقوة كونتها أميركا من القبائل العربية بالمنطقة، مؤخراً من طرد التنظيم من مدينة منبج.(

وفي أواخر عام **2013**، كان العديد من السوريين الذين يقاتلون ضمن صفوف تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) مقتنعين بأن التنظيم يتعاون مع حكومة الأسد. وفي مقطعٍ مصور طويل نُشِرَ على موقع "يوتيوب" في مارس/آذار **2014**، رياض عيد، أحد المقاتلين السابقين ضمن صفوف التنظيم، الذي ذكر في المقطع أنه من مدينة مارع في محافظة حلب، استشهد بعدة حالات وقفت فيها قوات التنظيم تشاهد قوات النظام السوري وهي تستولي على مدينة تلو الأخرى من قوات المعارضة المعتدلة.

وقال عيد، الذي لم يمكن التواصل معه لاختبائه حالياً، إنَّه كان كلما يحث زملائه في التنظيم على قتال قوات النظام، كان الرد يأتيه بالرفض، ويقولون له: "لا، لا يا شيخ. هناك ما يكفي من المجاهدين لقتالهم. هناك جبهة النصرة، وهي كافية لخوض هذا القتال."

وأضاف أنَّه عندما كانت مدينة السفيرة، إحدى المدن الكبرى في جنوب حلب، على وشك السقوط في أواخر أكتوبر/تشرين الأول عام 2013، كان مقاتلو تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، الذين كان يبلغ عددهم 500 مقاتل، يشاهدون من بعيد ولا يفعلون شيئاً. وعندما أرسل لواء التوحيد، وهو جزء من تكتل الجبهة الإسلامية، بعض التعزيزات إلى المدينة، منعها التنظيم من الوصول. وقال عيد: "عندما سألت عن سبب ذلك، قالوا إنَّ طلب المساعدة من المرتدين أمر محظور."

أدى استيلاء قوات النظام على المدينة إلى نزوح سكانها، الذين كان يبلغ عددهم حوالي 130 ألف شخص، وذلك طبقاً لمنظمة "أطباء بلا حدود". وتمكن النظام نتيجة لسيطرته على المدينة من التحكم بشكلٍ كامل في مصانع الأسلحة بها، التي بدأت بعدها بفترةٍ قصيرة في إنتاج البراميل المتفجرة، والتي استخدمها النظام لقصف حلب خلال عام 2014.

كما سقطت معظم محافظة الحسكة شمال شرق سوريا في يد تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) في فبراير/شباط ومارس/آذار عام 2014، وذلك بعد أن أرسل التنظيم قواته في قافلةٍ تكونت من 300 مركبة من بلدة الشدادي، وهي القافلة التي لم تتعرض لها الطائرات السورية الحربية، طبقاً لنصر، المسؤول السابق بالاستخبارات.

مواجهات مباشرة

كانت المواجهات المباشرة بين قوات التنظيم وقوات الأسد نادرة نسبياً. وفي يوليو/تموز 2014، بدأت القوات الجوية التابعة لنظام الأسد في قصف بعض المنشآت التابعة للتنظيم، وفي الشهر التالي، اجتاح التنظيم آخر القواعد العسكرية التي يسيطر عليها النظام السوري خارج مدينة الرقة، وأعدم مئات الجنود السوريين.

بعض الأدلة على التواطؤ بين النظام السوري وتنظيم الدولة الإسلامية (داعش) هي أدلة ظرفية، مبنية على فشل الأسد في مواجهة توسُّع جبهة النصرة ومن بعدها تنظيم الدولة الإسلامية. وبعض هذه الأدلة يستند إلى معلومات استخباراتية.

إذ قال أحد المسؤولين الأتراك رفيعي المستوى في لقاءٍ بمدينة أنقرة إنه تمكن من اعتراض مكالمة لاسلكية يخبر فيها أحد القادة العسكريين السوريين مقاتلي تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) بضرورة إخلاء إحدى المناطق قبل السادسة صباحاً، وذلك لأن القصف الجوي على المنطقة سيبدأ في هذا الوقت. وفي مكالمةٍ أخرى تم اعتراضها أيضاً، كان أحد القادة بالنظام يقترح مكافأة التنظيم على تعاونه مع النظام.

وقال المسؤول التركي إنَّه "إن نظرت إلى الطريقة التي تسير بها الأمور، لم يقم النظام السوري أبداً بقصف أية منطقة يتحكم بها تنظيم الدولة الإسلامية (داعش). كانوا يقصفون المناطق دائماً بعد رحيل مقاتلي التنظيم، أو قبل بداية هجوم قوات التنظيم على المنطقة."

"شراكة خلف الكواليس"

وعلق أحمد داود أوغلو، رئيس الوزراء التركي السابق، مبكراً هذا العام على فكرة التعاون بين النظام السوري وتنظيم الدولة الإسلامية (داعش) قائلاً إنَّ "هناك شراكةٌ تجري خلف الكواليس بين النظام السوري وبين التنظيم."

وقد ثبتت صحة هذا التعليق الذي أدلى به داود أوغلو على أرض المعركة.

عندما قصفت قوات النظام السوري مدينة الرقة في نوفمبر/تشرين الثاني عام 2014، أغفلت في قصفها كل الأهداف العسكرية الكبرى التابعة لتنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، وقتلت بدلاً من ذلك عشرات المدنيين، وذلك طبقاً للمراقبين المعارضين للحكومة السورية. وعندما هاجمت قوات التنظيم القواعد العسكرية التابعة للنظام السوري، وأعدمت القوات التي أسرتها، كانت قوات الأسد بطيئةً في الرد على هذه الهجمات، وكانت هجماتها غير فعَّالة.

وفي مدينة الباب، التي كانت خاضعةً أيضاً لسيطرة التنظيم شمالي سوريا، قصفت الطائرات الأميركية مقراً لتنظيم الدولة الإسلامية (داعش) في 28 ديسمبر/كانون الأول 2014، وقتلت فقط مجموعة من المدنيين المُحتجَزين بالمقر عن طريق الخطأ. وبعدها بأيام، قصفت طائرات القوات الجوية السورية أجزاءً عديدة من المدينة، لكنها، طبقاً للمواطنين بالمدينة، لم تستهدف أياً من منشآت التنظيم هناك. واستمر النظام فقط في قصف الأهداف المدنية في مدينة الباب.

وعندما هاجمت قوات التنظيم مدينة تدمر القديمة في مايو/أيار عام 2015، أخلى الجيش السوري معظم قواعده العسكرية بالمدينة قبل الهجوم، ولم يدافع عن المدينة سوى بشكلٍ متواضع، وسمح بوقوع مخازن الأسلحة الخاصة به في يد التنظيم. وأثناء ذلك، كان النظام السوري وتنظيم الدولة الإسلامية (داعش) يتشاركان في أكثر حالات التعاون وضوحاً في سوريا.

إذ إنه في ربيع عام 2015، وبينما كانت قوات النظام تترنح بسبب خسائرها الكبيرة في شمال سوريا، تواصل النظام السوري مع التنظيم لتغيير الموازين على ساحة المعركة.

كانت قوات الثوار قد استولت حينها على محافظة إدلب بالكامل، واستولى تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) على مدينة تدمر، ولم يكن الجيش السوري المُحبَط، الذي كان يتراجع حينها بسبب هزائمه المستمرة، قادراً على استعادة أياً من المدينتين.

وبعد اجتماعٍ بين النظام السوري وممثلي التنظيم في إحدى منشآت الغاز الكبرى في مدينة الشدادي شرق سوريا في 28 مايو/أيار، انطلقت قوافل جيش التنظيم من مدينة الرقة، ومدنٍ أخرى تحت سيطرة التنظيم، باتجاه مدينة مارع، التي تقع شمالي حلب، على إحدى طرق الإمداد الهامة من تركيا.

وبعد قيام طائرات الجيش السوري بقصف مواقع قوات المعارضة المعتدلة، تحرك مقاتلو تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) باتجاهها لاحتلالها. واستطاعت حينها قوات التنظيم السيطرة على حوالي ثلث المدينة، قبل أن تصل تعزيزات قوات الثوار وتهزم قوات التنظيم وتجبرها على التراجع.

وأكد أحد المسؤولين الأميركيين هذا التعاون.

تأكيد أميركي

وقال أحد المسؤولون بوزارة الدفاع الأميركية، والذي تحدث بشرط عدم ذكر اسمه، إنَّهم قد رأوا "قوات الأسد توفر الدعم الجوي لتنظيم الدولة الإسلامية (داعش). لابد أن هناك اتفاقاً ما بينهما. وقد حدث هذا أكثر من مرة."

وكشف مسؤولو الأمن الأتراك تاريخ، وموقع، وهويات المشاركين بهذا الاجتماع، واستطاع أحد المراسلين تأكيد التفاصيل الأساسية بخصوصه.

كان هجوم تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) على مدينة مارع في يونيو/حزيران 2015، والذي دعمته قوات النظام، ضربةً مذهلة. أرسل التنظيم القوافل التي تكونت من حوالي 60 مركبة من عدة أماكن بشمال سوريا للوصول إلى المنطقة الحدودية، ووصلت حتى كان بينها وبين المعبر بين سوريا وتركيا حوالي 6 أميال. لكن قوات الثوار اتجهت من عدة مناطق إلى مدينة مارع، ومنعت التنظيم من قطع الطريق القادم من تركيا، والذي تتدفق من خلاله المساعدات العسكرية والإنسانية إلى حلب.

ومن الأمثلة الحديثة لهذا التعاون الواضح بين قوات النظام السوري وتنظيم الدولة الإسلامية (داعش) ما حدث في أكتوبر/تشرين الأول 2015، عندما اضطرت قوات الثوار للانسحاب من مدرسة المشاة السابقة بشمال حلب، التي استولى عليها الثوار في ديسمبر/كانون الأول عام 2012. إذ شنت قوات التنظيم هجوماً عنيفاً على الموقع باستخدام الدبابات والمدفعية الثقيلة والسيارات المُفَخَّخة، لكنها لم تستطع السيطرة عليه، وذلك طبقاً لأحد المتحدثين باسم كتيبة الصفوة، إحدى الفصائل المقاتلة في سوريا.

وبعد ذلك، وأثناء قيام طائرات النظام السوري بقصف المدرسة، تحركت قوات تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) حول المدينة لقطع طريق الهرب على قوات الثوار. وبعد مقتل عدد كبير منها، وصل إلى حوالي 70 فرداً، اضطرت قوات الثوار إلى الانسحاب من مواقعها بالمدينة وتركها للتنظيم، والذي سلمها بعدها إلى قوات النظام السوري.

وفي فبراير/شباط الماضي، جمع الثوار بعض الأدلة والصور التي تثبت أن النظام وتنظيم الدولة الإسلامية (داعش) بينهما اتفاقٌ فعَّال بعدم الاعتداء. إذ قال أسامة أبو زيد، المستشار القانوني للمعارضة السورية، إنَّه عندما استخدم الثوار طائرات بدون طيار لتصوير الجبهة التي تمتد إلى 35 ميلاً بين قوات الأسد وبين قوات التنظيم، اكتشفوا عدم وجود تحصينات على الجانبين، وعدم وجود أية أدلة على حدوث اشتباكات بين الطرفين.

وأضاف: "كان هناك عددٌ قليل من المقاتلين على جانبي الجبهة، لكن العدد كان أقل جداً من أن تكون هناك حربٌ بين الطرفين."

وقال أسامة إنَّ تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) يستمر في استخدام السيارات المًفَخَّخة، سلاحه المفضل، ضد قوات المعارضة المعتدلة، لكنه لا يستخدمها ضد قوات الأسد أو حلفائه، أو حتى ضد الميليشيات الكردية، والمعروفة باسم وحدات حماية الشعب، التي تتحالف معها الولايات المتحدة الأميركية. وأثناء هجوم قوات النظام بمساعدة الطائرات الروسية لإنهاء حصار الثوار لمدينتي نبل والزهراء، لم يطلق التنظيم رصاصةً واحدة.

ويعتقد بعض المراقبين أن هذا التعاون الواضح بين قوات النظام وتنظيم الدولة الإسلامية (داعش) لن يستمر للأبد. لكنهما، في الوقت الراهن، يعملان جنباً إلى جنب.

ويرى بسام بربندي، الدبلوماسي الروسي السابق والمقيم بواشنطن حالياً، إنَّ سبب هذا التعاون بين النظام السوري وتنظيم الدولة الإسلامية (داعش) واضح، ويقول إنَّ "كلا الطرفين يعلمان أنه لا يمكن لكلاهما البقاء، لكنهما يريان أنه قبل الوصول إلى الخطوة الأخيرة في الحرب، يجب عليهما أن يقتلا كل المعتدلين. وهذا هو الأمر الذي يعمل فيه الطرفين معاً بشكل وثيق."

أكاديمية سجن صيدنايا العسكري، صناعة التطرف

دياب سرية

تختَزِلُ سجونُ الاعتقال السياسي في سوريا، من تدمر إلى صيدنايا مروراً بالمزة وعدرا، أسلوبَ نظام الأسد في الحكم، إذ تُرتكب فيها جرائم بحق معتقلين لا يملكون شيئاً يدافعون به عن أنفسهم وكراماتهم أمام آلة التعذيب والتنكيل الممنهجة سوى الدعاء إلى الله أن يخفّف عذابهم ويُحسن خاتمتهم ويفرّج عنهم ذلك الكرب العظيم.

كان للاعتقال السياسي دور في تشكيل المجتمع السوري ثقافياً وسياسياً وفكرياً، والمتابعُ لمجريات الثورة في سوريا، أو «الحرب الاهلية» -كما يحلو للمجتمع الدولي أن يسميها- يدرك بشكل أو بآخر أن السجون لها دور بارز في الحرب بين السلطة والمجتمع المنتفض. وربما كان أحد أبرز هذه السجون هو سجن صيدنايا، ليس لأنه أسوأ مكان على وجه الأرض، ترتكب خلف أبوابه المقفلة جرائم ضد الإنسانية، ويموت الناس جوعاً أو تحت التعذيب الممنهج أو بسبب عدم العناية الصحية، بل لأن هذا السجن كان له دورٌ في رسم خريطة الصراع الذي نعيشه منذ سنوات، إذ أن معظم قادة الكتائب الإسلامية «المعتدلة والمتطرفة»، التي تقود العمل المسلح ضد نظام الحكم، كانوا قد أمضوا سنواتٍ من عمرهم في هذا السجن، على خلفية انتمائهم للتيار السلفي أو إقدامهم على أعمال جهادية في العراق أو غيره.

كُتِبَت نصوصٌ ومقالات كثيرة عن سجن صيدنايا ومجزرته الشهيرة، وعن قادة العمل الجهادي في سوريا اليوم، وعن فترة سجنهم فيه ثم إطلاق سراحهم مع بداية الثورة السورية عبر مرسوم إنهاء حالة الطوارئ وما تبعه من إغلاق لمحكمة أمن الدولة العليا، وتحويل القضايا المنظورة فيها إلى القضاء المدني. وإطلاق العفو الرئاسي الشهير في منتصف شهر حزيران 2011، الذي تم بموجبه إخلاء سبيل العديد من المعتقلين على خلفيات جهادية.

ولأنني كنت واحداً من المعتقلين في صيدنايا، وقضيت فيه خمس سنوات من عمري انتهت مع بداية الثورة السورية في 18 آذار 2011، فقد أتيحت لي فرصة نادرة لمعرفة كيف تتم صناعة التطرف الديني داخل السجون، وكيف تتم الاستفادة من ذلك في وقت لاحق.

قالت التقارير والمواد الصحفية والوثائقية المشار إليها جزءاً من الحقيقة، لكنها لم تقلها كاملة. ولا نتهم أحداً بالتزييف أو التحريف هنا، لكن الأمر يحتاج إلى أبحاث معمقة تغوص في تاريخ سوريا القريب، تحديداً منذ اعتداءات 11 أيلول في الولايات المتحدة الأميركية، التي غيّرت وجه العالم.

بدأت في ذلك التاريخ حربٌ جديدةٌ قادتها الولايات المتحدة على التطرف الإسلامي، الذي أصبح مرادفاً للإرهاب، وبدأ العالم ينقسم إلى محورين: محور الخير الذي تتزعمه الولايات المتحدة ويضم الدول الغربية والدول السائرة في فلكها، ومحور الشر الذي ضم كوريا الشمالية وكوبا وإيران والعراق وسوريا. ولا نريد الغوص في هذا الموضوع هنا، غير أنه لا بد من ذكره كي يستقيم مسار الأحداث في أذهان القراء.

معركةٌ أخرى جديدة انطلقت في سوريا آنذاك، تتماشى مع الركب العالمي الجديد، لسان حال النظام فيها يقول إن سوريا عانت من الإرهاب في الماضي، وتعاني منه اليوم، وإن ما جرى في الولايات المتحدة كانت سوريا قد خبرته وجربته في ثمانينيات القرن الماضي.

هذا كان كلام أهل السياسة في النظام يومها، أما المخابرات السورية فقد بدأت إعداد نفسها لتجهيز هذا العدو المفترض وتقديمه إلى الجمهور السوري، ومن ثم المجتمع الدولي، لتثبت صدق أهل السلطة في سوريا. من هنا تبدأ قصتنا مع صناعة التطرف الديني.

لم تعرف سوريا عبر تاريخها حركات سلفية، ولم تكن يوماً مركزاً للإسلام الجهادي العابر للحدود. صحيحٌ أن هناك قادةً بارزين في تنظيم القاعدة من سوريا، مثل مصطفى ست مريم «أبو مصعب السوري»، أكبر منظر عقائدي ومهندس استراتيجي لتنظيم القاعدة؛ ومحمد عادل الزمار «أبو حيدر»، زعيم خلية هامبورغ المسؤولة عن تجنيد محمد عطا ورمزي بن الشيبة، منفذَي هجمات 11 أيلول في الولايات المتحدة. لكن ينبغي القول إن كلا الرجلين تركا سوريا في ثمانينيات القرن الماضي على خلفية صدمات نظام الحكم مع الطليعة المقاتلة في حركة الإخوان المسلمين، وانخرطوا في الجهاد الأفغاني ضد السوفييت.

كان الإسلام في سوريا إسلاماً معتدلاً صوفيَ التوجه تاريخياً، لم يعرف الغلو أو الحركات الدينية الراديكالية، ولا يمكن القول إن الطليعة المقاتلة كانت حالة تمثيلية واسعة ضمن المسلمين السوريين السنّة.

الأمر الآخر يتمثل في القبضة الأمنية الشديدة التي يفرضها النظام على المجتمع، التي لا تتيح لأحدٍ التعبير عن نفسه خارج الأطر التي ترسمها الدولة. كل شيء في سوريا مرسوم بدقة، بما في ذلك المؤسسة الدينية، التي كانت دوماً قريبة لأهل الحكم منذ أيام السلطنة العثمانية.

خلال الفترة اللاحقة لأحداث 11 أيلول ودخول أمريكا إلى أفغانستان لمحاربة تنظيم القاعدة، بدأت مخابرات النظام السوري العمل على نشر الفكر الجهادي بين صفوف الشباب، وبدأ خطباء المساجد بحثِّ الشباب على الجهاد في سبيل الله «دفاعاً عن الإسلام، وصوناً لأعراض المسلمين في فلسطين وغيرها من البلدان». أبرز مثال على هؤلاء المشايخ هو محمود قول أغاسي «أبو القعقاع». هذا الرجل الذي سوف يكون له الدور المفتاحي في الدعوة للحركة الجهادية السورية لاحقاً.

انطلق أبو القعقاع في دعوته الجهادية من مسجد العلاء بحي الصاخور في مدينة حلب، كانت خطبه الحماسية، التي ترافقت مع الانتفاضة الفلسطينية الثانية عام 2001 واستفحال الحصار الاقتصادي على العراق، تلهب مشاعر المصلين في المسجد وتحثُّ الشباب على الجهاد في سبيل الله «نصرة لإخواننا المستضعفين في فلسطين والعراق.«

كان أبو القعقاع يمتلك قدرة خطابية عالية، وعنده معرفة كبيرة في تفسير القرآن الكريم، حافظ للسنة النبوية وسيرة الخلفاء الراشدين. يملك الوسائل الكافية للإقناع والوصول إلى القلب، حجته قوية وأدلته الشرعية محكمة. كان مثالاً لرجل الدين الشاب الثائر على الظلم والاستبداد، بالإضافة إلى أنه يضع رفع الظلم عن المستضعفين نُصبَ عينيه.

استطاع أبو القعقاع استقطاب الشباب حوله خلال مدة قصيرة جداً، وبعد إعلان الولايات المتحدة الحرب على «الإرهاب» انتقل أبو القعقاع من القضية الفلسطينية إلى مرحلة تبني الجهاد العالمي، فسعى إلى تكوين علاقات خارجية مع الحركات الجهادية الكبرى بغية الحصول على الشرعية المطلوبة، وكان قد أعلن عزمه السفر إلى أفغانستان لمقابلة أسامة بن لادن زعيم تنظيم القاعدة آنذاك لكنه فشل في مسعاه. توجه بعدها إلى المملكة العربية السعودية وقطر لمقابلة منظري السلفية والوهابية هناك.

لعل شهادةً قالها أمامي محمد الدردار «أبو الطيب»، تكون مهمة في هذا السياق. والدردار فلسطينيٌ سوري، درس الهندسة المدنية في جامعة دمشق وتخرج عام 1997. سافر بعد ذلك إلى كندا وأقام فيها مدة من الزمن، قبل أن يعود إلى سوريا في العام 2004 بعد أن اشتبهت السلطات الكندية بانتسابه لتنظيم القاعدة، وبأنه أحد المتورطين في عملية تعطيل محطة كهرباء في كندا العام 2003، في حادثة شهيرة أغرقت شمال أمريكا وجنوب كندا بالظلام وتسببت بخسائر اقتصادية فادحة للبلدين. قُتِلَ «أبو الطيب» خلال أحداث سجن صيدنايا 2008. ففي حديث دار بيننا في السجن أواخر عام 2006، كان موضوعه الأساس الموقف من أبي القعقاع والاتهامات الموجهة له بالعمالة للنظام السوري، وكان مجمل كلام أبي الطيب فيه يتجه إلى نفي تبني تنظيم

القاعدة لأبي القعقاع في أي وقت، قال: «لم يستطع أبو القعقاع إقناع أحد خارج سوريا بصدق دعوته وعمله، لقد كان الجميع مستغربين من حماسه وخطبه النارية في بلدٍ عُرِفَ بكتابة خطبة الجمعة لأئمة المساجد من قبل المخابرات.«

بعد مدة، في العام 2004، أصدرت قيادة القاعدة في العراق فتوى بهدر دم أبي القعقاع بحجة تعامله مع النظام السوري وإيقاعه بالمجاهدين. لكن أبو القعقاع لم يكن الداعية الوحيد الذي دعمته المخابرات السورية لحث الشباب على الجهاد في العراق، فقد كان في سجن صيدنايا كثيرٌ من المشايخ والأئمة من مختلف المناطق السورية من ساهموا، بأوامر مباشرة أو غير مباشرة من مخابرات النظام السوري، بدفع الشباب إلى الجهاد في العراق. منهم -على سبيل المثال- فؤاد نعال، وهو شيخ مسجد في منطقة العدوي بدمشق حوّلَ مزرعته في منطقة صحنايا إلى مقرٍ دعويٍ جهادي، ومكان لتدريب المجاهدين على حمل السلاح بسيناريو شبيه بسيناريو أبو القعقاع في مسجد العلاء بحلب.

هناك أيضاً عبد الحليم جاموس، وهو شيخٌ من طيبة الإمام في محافظة حماة، ساهم في إرسال العديد من الشباب إلى العراق، وخرجَ هو أيضاً على رأسهم. اعتُقل عام 2007 وحُكِمَ بالسجن لمدة عشر سنوات، ليتم إخلاء سبيله بموجب العفو الرئاسي حزيران 2011، ويُقتَل على يد قوات الأمن السورية في إحدى الاقتحامات للبلدة عام 2012؛ وعبد الله الخطيب، شيخٌ وخطيبُ مسجدٍ في قرية بزابور بمحافظة إدلب، عَمِلَ أيضاً على الدعوة للجهاد وإرسال المقاتلين إلى العراق. اعتُقِلَ بدوره عام 2007، وأخلي سبيله عام 2011 في العفو الرئاسي أيضاً.

لا أبالغُ إذا قلتُ إن عدد الدعاة والمشايخ الموجودين في سجن صيدنايا، والذين كان لهم دور كبير في حث الشباب على الجهاد في العراق منذ العام 2003 حتى العام 2008، تاريخ تمرد سجن صيدنايا الشهير، قد بلغ حوالي 40 داعيةً وشيخاً وخطيبَ مسجد، كانت السلطات السورية قد غضت النظر عنهم، أو سهّلت لهم تجنيد الشبان، أو دعمَتهم بشكلٍ مباشر.

اجتياح العراق

شكّلَ اجتياح القوات الأمريكية للعراق المنعطف الأبرز في تاريخ الحركات الجهادية السورية، فقد ساهم أبو القعقاع وغيره من رجال الدين بزجّ الشباب في قتال القوات الغازية «للبلد العربي المسلم»، وبدأت الدعوة إلى الجهاد على منابر المساجد في تلك المرحلة بشكل شبه علني، حتى وصل الأمر بمفتي النظام يومها أحمد كفتارو إلى إصدار فتوى1 عام 2003، دعا فيها إلى وجوب الجهاد في العراق نصرةً لإخواننا المسلمين هناك.

.1تداولت كثيرٌ من الوسائل الإعلامية والمنابر دعوة كفتارو إلى الجهاد في العراق آنذاك، من بينها جريدة المستقبل اللبنانية في العدد 1258/ صفحة 17.

بدأت باصات الجهاديين تنطلق من دمشق وحلب وكافة المناطق السورية قاصدة الحدود العراقية للالتحاق بالمجاهدين، ولم يقتصر الأمر على السوريين، فقد بدأ الجهاديون يتوافدون من الأردن ولبنان والسعودية ومصر وغيرها من الدول العربية لقتال القوات الأميركية المحتلة. باختصار، حوّل النظام سوريا خلال الفترة الممتدة من عام 2003 حتى عام 2005 إلى منصة دولية لاستقبال الجهاديين وإرسالهم إلى العراق.

حققَ النظام حينها عدة أهداف، أهمها التخلص من السوريين ذوي النزعة السلفية الجهادية القادرين على حمل السلاح، بإرسالهم إلى العراق لقتال الأميركيين بدلاً من قتالهم للنظام نفسه يوماً ما، وإحباط مخطط الإدارة الأميركيّة المعلن يومها، العازم على التخلص من الأنظمة الديكتاتورية في المنطقة، ومنها النظام السوري نفسه.

لكن ارتفاع لهجة التهديدات الأمريكية لسوريا، وتوعد كولن باول وزير الخارجية الأمريكي النظامَ السوري بضربة عسكرية قاصمة في حال لم يضبط حدوده ويوقف إرسال «الإرهابيين» إلى العراق، دفعَ النظام إلى التوقف عن هذه اللعبة بشكل مؤقت. وقتها، أطلقَ رئيس النظام السوري بشار الأسد مثاله الشهير عن الحدود بين الولايات المتحدة والمكسيك، مدعياً أن الحدود مع العراق طويلة ولا يمكن ضبطها بسهولة.

في نهاية الأمر، أُجبر النظام على وقف هذا التدفق وإقفال ملف الجهاد في العراق بشكل شبه نهائي، ترافق هذا مع اغتيال رئيس الوزراء اللبناني الأسبق رفيق الحريري وما أعقبه من تبعات على سوريا، متمثلة بخروجها من لبنان واتهام النظام السوري بمسؤوليته المباشرة عن هذا الاغتيال. هذه الحادثة سوف يكون لها تبعات على الملف الجهادي أيضاً، سوف نذكرها في وقت لاحق.

بقي أن نذكر أمراً مهماً، وهو أن غالبية الذين شاركوا في قتال القوات الأمريكية في العراق بداية العام 2003 و2004 من السوريين، لم يشاركوا يومها تحت دافع ديني جهادي، ولا أبالغ إن قلت إن معظم السوريين الذين كانوا في سجن صيدنايا من المقاتلين في العراق قاتلوا على خلفية قومية، عشائرية، عاطفية.. وحين عاد قسمٌ منهم زُجَّ بهم في السجون السورية خلال الفترة الممتدة من العام 2004 وحتى العام 2008.

الانعكاسات على سجن صيدنايا

ارتفع عدد السجناء الإسلاميين في سجن صيدنايا بين العام 2004 والعام 2008 -عند انطلاق التمرد الشهير- من 200 معتقل إلى ما يقارب 1460، معظمهم محسوبون على التيارات الجهادية، بمختلف تصنيفاتها.

لم يتجاوز عدد السجناء الآخرين 200 شخصٍ من مختلف التُهَم: إخوان مسلمون، حزب التحرير، نشطاء حقوق إنسان، نشاط سياسي معارض للنظام (أي تُهمتي)، نشطاء الأحزاب والتنظيمات الكردية، حزب العمال الكردستاني، والتعامل مع إسرائيل.

تحوّلَ السجن بعد العام 2005 إلى مصنع لإنتاج التطرف بكل ما تعنيه الكلمة، فقد عمل النظام على الزجّ بكل عائدٍ من حرب العراق في السجن، وبدأت المعاملة القاسية والمهينة والحاطّة بالكرامة تمارس على المعتقلين: ضرب، تعذيب، تفتيش عارٍ، حرمان من الأكل، حرمان من النوم، شتم الأعراض، شتم المقدسات الدينية ... إلخ. باختصار، لقد كان التعذيب الممنهج والإهانات جزءً من الحياة اليومية في صيدنايا، وقد مات حوالي 4 سجناء بين الأعوام 2005 و2008 نتيجة انعدام العناية الطبية وسوء الأحوال الصحية في المهاجع. بالإضافة إلى ذلك، مووس الحرمان من الزيارة وقطع الاتصال مع العالم الخارجي، حيث لا يوجد راديو أو تلفزيون، حتى الجرائد الرسمية الصادرة عن النظام كانت ممنوعة من الدخول إلى المعتقلين.

رغم هذا التعذيب والحصار ومنع كل وسائل الاتصال مع العالم الخارجي، كان النظام يسمح بوجود عدد من المصاحف في كل غرفة، ولا يقوم بمصادرتها. ومع أن الصلاة ممنوعة وهناك عقوبةٌ على من يُضبَط وهو يصلي، كان النظام يسمح بوجود مصاحف وحفظ القرآن الكريم داخل الغرف.

ربما يرسم هذا التفصيل الصغير جزءاً من الصورة، وبالإضافة إلى ذلك كان النظام يخلط داخل السجن أصحاب التجارب القتالية العالية من المجاهدين وزعماء القاعدة مع سجناء لا علاقةَ لهم بالتطرف وبالجهاد، مثل سجناء «دعاوى السيديات»، وهي تهمة كل شخص قُبِضَ عليه وبحوزته «سي دي» لخطبة من خطب أبو القعقاع. يُقدر عدد المتهمين بحيازة سي دي لأبو القعقاع، أو أحد كتب ابن تيمية، بحوالي 400 شخص، منهم أطفال قصّر، تراوحت أحكامهم بين 5 إلى 7 سنوات حسب المستوى التعليمي، فكلما ارتفع المستوى التعليمي كلما زاد الحكم.

هذا الاحتكاك ونقل الخبرات، إذا صح التعبير، كان يتم داخل السجن بشكل يومي، فإذا نظرنا إلى الصورة الكاملة، نجدُ أن أناساً زُجَّ بهم في السجن من أجل «هدفٍ نبيلٍ» متمثل بالدفاع عن الدين والذود عن أعراض المسلمين، يُعامَلون معاملة سيئة ويهانون ويشتم دينهم ولا سبيل أمامهم لفعل شيء.

هنا يدخل السجين في صراع مع الذات، ويبدأ بمرحلة المراجعة لنفسه ومعتقداته، وهنا أيضاً يُقتَلَ الندم بشكلٍ نهائيٍ من مخيلة السجين، فلا مكان للندم على فعلٍ مشرفٍ هدفه نبيل: «العلة ليست بالهدف، العلة في النظام الحاكم، والعلة في كل شيء يخالف العقيدة الدينيةً والشرع». يعزز من هذه الفكرة وجود دعاة جهاديين بين السجناء، يعرفون كيف يكون التلاعب بالعقول في ظل هذه الظروف العصيبة التي من الممكن أن تؤدي إلى

الموت في أي لحظة. هنا تبدأ مرحلة الضخ العقائدي الجهادي، المترافقة مع دروس الولاء والبراء والعقيدة وأصول التوحيد ونبذ الشرك وقتال الفئات الضالة، وكذلك الخوض في الأمور الخلافية.

لا أبالغُ إذا قلتُ إن التاريخ الإسلامي كله، منذ الدعوة المحمدية إلى يومنا هذا، تمت مناقشته في صيدنايا بكل حذافيره. كانت هذه هي الوجبة اليومية لسجناء صيدنايا الإسلاميين.

ليس هذا فحسب، فبعد الوجبات الدسمة من دروس الفقه والعقيدة والتفسير، التي تركز في معظمها على تعظيم الجهاد والقول إنه الركن الأساسي في إيمان المسلم والعمود الفقري للعقيدة الإسلامية الصحيحة، تبدأ عملية الاصطفاء، وتبدأ المناظرات الشرعية، «المباهلة»، بين السجناء الذين التحقوا بالخطاب الجهادي، لتبيان مدى فهمهم لما تعلموه.

تتم مناقشة أمور (كالبرلمان والديمقراطية)، وسوق الأدلة الشرعية على مخالفتها للإسلام. وبعد الإجماع على أنها من الشرك، ينتقل النقاش إلى مرحلة تكفير من يدعو للديمقراطية وتُساق الأدلة الشرعية أيضاً. والمرحلة الأخير تكون بتكفير من لا يكفر الداعين للديمقراطية والبرلمانات الشركية. وعلى هذا المنوال تُناقش القضايا والأمور الفقهية التي لها علاقة حصراً بمواضيع التكفير والحكم على الناس، مثل حكم تارك الصلاة: هل هو كافرٌ أم لا؟ حكم من شتم الله: هل يستتاب أم يقتل؟ المِسبَحَة: هل هي بدعةٌ أم تشبّهٌ بالنصارى؟ تكفير من ينكر بأنها بدعة .... إلخ. ثم تبدأ عملية الفرز للسلفيين أنفسهم، فكل من أنكر تكفير تارك الصلاة مرجئٌ أو ذو عقيدة ضعيفة، وكل من كفّر المدخّن -على سبيل المثال- هو سلفي جهادي حقيقي عقيدته سليمة.

تُناقش كل الأمور الحياتية تقريباً في سجن صيدنايا، ويتم إصدار الحكم الشرعي فيها، من حلق اللحية إلى حلق العانة، ومن تقصير البنطال إلى الخمار ولباس المرأة، ومن النظافة الشخصية إلى الاجتمار2 إلى أصول ممارسة الجنس مع الزوجة وفق الشريعة الإسلامية. كل شيء يمكن أن يخطر على البال نوقش في صيدنايا.

2. الاجتمار هو التطهر من النجاسة باستخدام الحجارة أو التراب عند عدم وجود المياه.

هذه الدروس والنقاشات كانت تتم بعلمٍ من إدارة السجن، التي لم تكن تتحرك لتوقفها. أذكرُ جيداً ردَّ مدير سجن صيدنايا، علي خير بيك، عندما زارنا في جناح العقوبات (ج يمين)، وطلبتُ منه أن يتم نقلي إلى زنزانة انفرادية، لأن ذلك أفضل بالنسبة لي من البقاء مع السلفيين الجهاديين، وأنا منبوذٌ ومكفّرٌ لأنني أدعو إلى الديمقراطية. قال يومها: «خليك هون أحسن... غيّرهم خليهم يصيروا متلك، أو صير متلهم، أنا ماني فاتح أوتيل هون.«

هذه الكلمات كانت كفيلة لترسم مسار حياتي في السجن لمدة خمس سنوات، وتفتح عيني على السياسة التي كان النظام يطبقها في تحويل السجناء إلى تكفيريين داخل السجن. كنا على هذه العملية اسم «السلفنة» من باب التندّر، وهي العملية التي تركّز على الجهاد وجعله الركن الأعظم في إيمان المسلم، مترافقةً مع منهاج عقائدي يتمحور حول آيات الولاء والبراء، جاعلاً من الأحكام الشرعية الواردة في سورتي التوبة والأنفال ناسخةً لكل الأحكام الواردة في التعامل مع أهل الكتاب، من مسالمتهم والعفو عنهم والإعراض والصبر على أذاهم، ومؤكداً على وجوب قتال الكفار والمرتدين «حيث ثقفتموهم»، متنصلاً من أي عهد وذمة لهؤلاء، حتى أن بعض المغالين يقولون إن سورة التوبة قد نسخت مائة ونيف من آيات القرآن الكريم.

أمثلة على «السلفنة«

معتقلو «دعوى الإذاعة» عينةٌ أخرى من السجناء في سجن صيدنايا. هم مجموعة أطفال من مدينة عربين أكبرهم يبلغ 17 عاماً، هاجموا مبنى إذاعة دمشق في العام 2007 بفتوى من شيخٍ كانوا يترددون عليه. أصيبَ عددٌ منهم في الهجوم واعتقلوا، وعندما وصلوا إلى صيدنايا زَجَّت بهم إدارة السجنِ في مهاجع التكفيريين، في حين كان بإمكانها أن تضعهم لوحدهم. ولقد طلبنا ذات مرة من مدير السجن، علي خير بيك، نقلهم إلى مهجعنا3 كونهم أطفال ومن الخطر وضعهم مع التكفيريين، فكان جوابه: «اخرسوا وانضبوا... هون مو مريديان حتى نجيب على كيفكم.... ومو انتوا بدكم تعلمونا شغلنا.«

3.في سجن صيدنايا لا يبقى السجناء دائماً في المهجع نفسه، بل تتم إعادة توزيعهم بشكل دوري، وهكذا فقد كنتُ في مهجعٍ أغلب سجنائه من السلفيين في مرحلة سابقة، ولكن عندما تم اعتقال أطفال دعوى الإذاعة، كنت مع مجموعة من المعارضين غير السلفيين في مهجعٍ آخر، وإليه طلبنا من مدير السجن نقل أولئك الأطفال لكنه رفَض ذلك.

أصبح هؤلاء الأطفال بعد سنة من عتاة المتطرفين، ومن المستحيل النقاش معهم، لأنهم لا يتقبلون أي رأي مخالف بعد أن تشربوا التطرف فكراً وممارسة خلال أحداث التمرد في العام 2008. كانت هذه المجموعة رأس حربة في إفشال الاقتحام العسكري للسجن، وكان لهم دور كبير في أسر أكثر من 1200 شرطي من الشرطة العسكرية اقتحموا سجن صيدنايا صباح الخامس من تموز من عام 2008.

باختصار، يمكن القول إنهم كانوا انغماسيي الاستعصاء، ولقد طبق هؤلاء الفتية الخبرات التي تربوا عليها في صيدنايا بعد أن أطلق النظام سراحهم في أعقاب اندلاع الثورة في العام 2011. اليوم، يتزعم هؤلاء الفتية العمل المسلح ضمن «جبهة النصرة» في منطقة حماة وإدلب وريف حلب.

عملاء واختراقات داخل السجن

نديم بالوش هو أحد أكثر السجناء غرابة وتناقضاً. ادّعى الانتماء لتنظيم القاعدة، لكنه لم يقاتل يوماً وليس لديه أي خبرة بالسلاح. اعتُقِلَ بالوش في تركيا بتهمة تشكيل خلية تابعة للقاعدة وتفجير كنيس يهودي في إسطنبول في العام 2001 بالاشتراك مع شاب سوري اسمه لؤي السقا، والأخير معتقل في تركيا حتى يومنا هذا.

سُلِّمَ بالوش إلى السلطات السورية عام 2003، حيث اعترف بتشكيل خلية نائمة للقاعدة في مدينة اللاذقية، وزُجَّ معه في المعتقل 3 أشخاص حُكِمَ عليهم بالسجن من 7 إلى 10 سنوات من قبل محكمة أمن الدولة العليا، وهو ما يضع العديد من علامات الاستفهام عليه.

نديم بالوش كان من قادة «التصعيديين»، وهم الفريق الذي رفض التفاوض مع النظام وقتل عدداً كبيراً من الشرطة العسكرية والسجناء أثناء الاستعصاء في صيدنايا عام 2008. سمّى بالوش نفسه أمير التسليح، وكان من أشد المحرّضين على التمرّد وقتال النظام وعدم تسليم السجن أو تسليم السجناء أنفسهم. وعندما قامت قوات النظام بتمشيط السجن، قتلت الجميع إلا نديم وشخصين آخرين.

تعدُّ هذه أهم علامات الاستفهام على الرجل الذي أُطلِقَ في أواخر عام 2010، بدون أن ينهي قضاء محكوميته، إذ قضى سبع سنوات بدلاً من عشر. واللافت أنه بعد العصيان في صيدنايا حُكِمَ على قادة التمرد يومها بالإعدام، بينما لم يحاكم بالوش مرة ثانية.

مع بداية الثورة، شكّلَ بالوش ما عرف بكتيبة «ريح صرصر»، وظهر على شاشات التلفزيون السوري وتلفزيون الدنيا وهو يقوم بتجريب أسلحة كيميائية على الأرانب في مختبر، ويهدد بتسميم مياه نهر السن، شمال محافظة طرطوس على الساحل السوري، وقصف القرى العلوية في الساحل بالسلاح الكيميائي.

اعتقل الجيش الحر بالوش في العام 2012، وعُرِضَ على محكمة شرعية في اللاذقية بتهمة قتل النقيب المنشق عن جيش النظام السوري رياض الأحمد، ثم وضعَ في سجن تابع لجبهة النصرة، ليتم لاحقاً تحريره من قبل «داعش.«

بعد أربع سنوات من التخفي والنشاط الجهادي على وسائل التواصل الاجتماعي، تم الإعلان عن انتحار بالوش ربيع العام 2016 في أحد السجون التركية.

الخزان الجهادي

استفاد النظام من هذا الخزان الجهادي بشكل كبير كلما شعر بالخطر، ولعل أحداث نهر البارد في لبنان العام 2007 نموذجٌ على ذلك. كان العمود الفقري لتنظيم «فتح الإسلام» مجموعةً من السجناء الفلسطينيين

والسوريين كانوا قد اعتقلوا في العام 2003 لمحاولتهم التسلل إلى الجولان السوري المحتل وضرب أهداف إسرائيلية. عُرِفت هذه القضية في سجن صيدنايا باسم «الدعوى 33»، وكان شاكر العبسي هو زعيم المجموعة. وقد أُخرجت هذه المجموعة من السجن وتوجهت برعاية مخابراتية إلى لبنان، ويبدو أن النظام قد استخدمها إثرَ اتهامه باغتيال رفيق حريري، بهدف الضغط على قوى 14 آذار في لبنان.

لكن استفادة النظام العظمى كانت خلال الثورة السورية، فقد أطلق جميع السجناء الموجودين في سجن صيدنايا من الموقوفين على خلفية تهم جهادية، في محاولة منه لإعادة إنتاج شرعيته أمام العالم، وإظهار الثورة على أنها سلفية تكفيرية. ارتكز إعلام النظام في خطابه على بثّ الخوف من المتظاهرين السلميين بحجة أنهم إرهابيون، ولازمَ هذه التهمة بأنهم طائفيون، وذلك بهدف تصوير نفسه بأنه حامٍ للأقليات، وسعياً منه لدفع الصراع إلى مربع الطائفية.

زادَ على القمع الوحشي للمظاهرات بتحالفه مع إيران وحزب الله والمليشيات الشيعية في العراق، وقتالهم جنباً إلى جنب معه لقمع الثورة السورية. كل هذه أفرزَ مشاعر «سنية»، توقن أنها تتعرض لصراع طائفي قائم على أرض الواقع، الأمر الذي قاد إلى ولادة تنظيمات كجبهة النصرة وغيرها.

المستودع

كان قسمٌ من ضباط المخابرات يطلقون على سجن صيدنايا اسم المستودع، وهو بالفعل مستودعٌ بكل ما تحمله الكلمة من معنى، مستودعٌ لأناس قدموا الغالي والنفيس في سبيل قضايا آمنوا بها ودفعوا ثمنها سنوات من عمرهم مغيَّبين عن العالم الخارجي، في أقبية وزنازين أقل ما يمكن وصفها به هو أنها كانت كالقبور.

هو مستودعٌ لأشخاص استخدمهم النظام في عملياته وخططه، وعند الانتهاء من استخدامهم زجَّ بهم في السجن بتهم الفساد وإهدار المال العام. وهو مستودعُ الجهاديين الذين صنعهم النظام داخله ثم فتح أبوابه أمامهم على مصراعيها، مطلقاً العنان للمارد الجهادي الذي كان قد اضطهده ونكل به، ثم أخرجه إلى مجتمعٍ يغلي على وقع الثورات العربية، ليقود بعد مدة العمل المسلح ضد النظام، ويتصدر المشهد اليوم.

لكن يبقى أن الاسم المستخدم بين السجناء أنفسهم هو «الأكاديمية»، وهذا الاسم دليلٌ على مدى التغيّر الذي أحدثه هذا السجن في حياة الذين عاشوا فيه خلال الفترة الممتدة من 2003 إلى 2011، حين خرجوا ليقوموا بتطبيق ما تعلموه هناك على أرض الواقع.

المصادر

https://www.baladi-news.com/public/index.php/ar/articles/4382/%D9%81%D9%88%D8%B1%D9%8A%D9%86-%D8%A3%D9%81%D9%8A%D8%B1%D8%B2:-%D8%AF%D9%88%D8%B1-%D9%88%D8%AA%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%AE-%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%B8%D8%A7%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%88%D8%B1%D9%8A-%D9%81%D9%8A-%D8%B5%D9%86%D8%A7%D8%B9%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D9%87%D8%A7%D8%AF%D9%8A%D9%8A%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%A7%D8%AF%D9%8A%D9%83%D8%A7%D9%84%D9%8A%D9%8A%D9%86

https://arabicpost.net/archive/2016/12/05/%D8%B5%D9%86%D8%A7%D8%B9%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B3%D8%AF-%D9%87%D9%83%D8%B0%D8%A7-%D8%B5%D9%86%D8%B9-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%A6%D9%8A%D8%B3-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%88%D8%B1%D9%8A-%D8%A8%D9%8A%D8%AF/

https://www.aljumhuriya.net/ar/36080